الفصل الثانى عشر
الاتحـــاد الألمانـي

ساعدت أفكار الثورة الفرنسية، وما أحدثه نابليون من تعديلات وإصلاحات فى ألمانيا أثناء حكمه لها على إنعاش الروح القومية بين الألمان.

كما ساعد انتصار الحركة القومية فى إيطاليا بعد تخلصها من الحكم النمساوى علـى أحياء الأمل فى إنشاء الاتحاد الألمانى خاصة وأن النمسا كانت الخصم المـشترك لكـل مـن إيطاليا وألمانيا، حيث تركزت جهودها فى العمل على كبْت الحركات القومية فى أوربا وتحقيق أطماعها هناك لذلك قام المستشار النمساوى " مترنخ" بتوجيه الولايات الألمانية إلى اجتمـاع فى " كرلسباد" فى عام ١٨١٩م وحصل على موافقتها على قرارات رجعية ضد مبادئ الحرية والمطالبة بالدستور كما نجح فى تكميم أفواه الصحافة.

هذا فى الوقت الذى اتجهت فيه بروسيا إلى زعامة المانيا، واستطاعت أن تضع أسسا قوية لإقامة اتحاد ألمانى تحت زعامتها وساعدها على ذلك عدة عوامل هـى:-

١- ظهور السياسى الشهير " أوتوفـون بـسمارك Otto Von Bismarck" علـى مـسرح الأحداث وقدرته الفائقة على مواجهة المشاكل، ومقدرته الـسياسية الفـذة ونجاحـه فـى الوصول إلى إدارة الحكم فى بروسيا وهو يحمل برنامجا يسعى لتحقيقه بطريقة علمية ألا وهو اقامة الوحدة الألمانية والعمل على جعل بروسيا أكبر وأقوى مملكة فى المانيا ونتيجة لذلك جذب الأنظار إليه خاصة وأنه كان خطيبا مفوها ذرب اللسان لا يتراجع عن المضى فى تحقيق أهداف بلاده ولو كان ذلك على حساب المبادئ.

٢- تولية "وليم الأول William I" زمام الأمور فى بروسيا عام ١٨٥٨م وقيامه بالعمل على أن تصبح بلاده دولة قوية وذلك عن طريق تنظيم الجيش البروسى وزيادة إعداده، وإقامة حكومة أوتوقراطية.

٣- إدراك المسئولين فى بروسيا لأهمية الوحدة الاقتصادية بين الولايات الألمانية، فقاموا بتأسيس الاتحاد الجمركى (الزولفرين Zollevrein) فى عام ١٨١٩[١] مما كان له أكبر الأثر فى تجميع شمل الولايات الألمانية المتفرقة وتخليصها من المكوس الجمركية التى كانت تشكل حاجزا بين هذه الولايات، فبعد أن كانت بروسيا مقسمة إلى عدة مناطق جمركية، وكل منطقة لها ضرائبها الخاصة، تم إلغاء هذه الحواجز مما ساعد على رواج التجارة الداخلية، وأعطى بروسيا القدرة فى الدعوة لتشكيل اتحاد سياسى تم بعد ذلك فى عهد وليم الأول.

٤- اتجاه الحركة الثقافية فى الولايات الألمانية صوب أهداف قومية، وعرضها لأفكار "هيجل"، و"نيتشه" عن الدولة التى يجب أن تتمثل فيها وحدة الثقافة، وعن دور الفرد فى خدمة الدولة، ونتيجة لذلك ظهرت جماعة من المثقفين تنادى بوحدة ألمانية عن طريق برلمان يضم الأمة الألمانية كلها.

٥- تنظيم الجيش البروسى وتجديده تحت قيادة " فون رون" Von Roon الذى يتمتع بقدر كبير من الكفاءة العسكرية، مما قلب التوازن العسكرى فى وسط أوربا رأسا على عقب.

ونتيجة للتنافس بين بروسيا والنمسا على تزعم الاتحاد الألمانى، اشتد العداء بينهما إلى حد النفور ومن أجل تفويت الفرصة على بروسيا فى قيادة الاتحاد الألمانى قامت النمسا بدعوة الأمراء الألمان لمؤتمر فى "فرنكفورت" للنظر فى الإصلاحات الدستورية المطلوبة حتى يتم تأبيت نفوذها فى ألمانيا، ونتيجة لذلك فكر بسمارك فى إحباط هذه الفكرة، فاعترض على قيام النمسا بالدعوة لمثل هذا المؤتمر ورأى ألا تمثل بلاده فيه. ولما افتتح المؤتمر فى الرابع عشر من أغسطس ١٨٦٣م رأى بسمارك ضرورة توجيه ضربة إلى النمسا، فأرسلت حكومته بمذكرة إلى المؤتمر اقترحت فيها بأنه يجب عند قيام أى إصلاح للاتحاد ان تكون بروسيا على قدم المساواة مع النمسا فى مسألة رئاسة الاتحاد، وفى رفض التصديق على إشهار الحرب. وخلال ذلك الوقت حدثت ثورة فى بولندا ضد الروس، قامت روسيا بإخمادها بقسوة وعنف مما أدى إلى استنكار معظم شعوب أوربا لذلك العمل ومطالبتها للروسيا بمنح بولندا استقلالا

---

[١] اكتمل تكوينه الرسمى فى الأول من يناير ١٨٣٤، وما أن أتى عام ١٨٥٢ حتى انضمت إليه جميع الولايات الألمانية عدا النمسا.

اخليا، ولما دعيت بروسيا للاشتراك فى هذا الاستنكار، ظهرت براعة بسمارك السياسية حيث انتهز هذه الفرصة فى العمل على التقرب من الروسيا وعدم مضايقتها حتى تقف بجانبه أثناء تنفيذ خططه خلال عمله على توحيد بلاده، ضاربا بذلك اتجاه الرأى العام فى بريطانيا وفرنسا ومعظم دول أوربا عرض الحائط فعقد تحالفا مع روسيا حتى يضمن حدود بلاده الشرقية أمنة فى حالة إعلانه الحرب على النمسا أو فرنسا، اللذين كان يجد فيهما خصمين للوحدة الألمانية يجب قهرهما، ومع أن هذا الموقف أغضب الدول الأوربية وأثار المعارضة فى البرلمان البروسى فقد صمد بسمارك للعاصفة وظل على موقفه.

مسألة الشلزويج Schleswig والهولشتين Holstein

منذ أن استلم بسمارك زمام الأمور فى بروسيا كان يدرك مقدار العداء الذى تكنه النمسا للوحدة الألمانية، مما جعله يعد العدة لمواجهتها حربيا، وقد واتته الفرصة فى عام ١٨٦٠، عندما حدث الخلاف بين النمسا وبروسيا حول مقاطعتى الشلزويج والهولشتين.

وموضوع هاتين الدوقيتين هو أن ملوك الدنمارك كانوا يحكمونها منذ عام ١٤٩٠م، ولما أثرت قضية الوراثة داخل الأسرة المالكة الدنماركية صارتا مكان خلاف بين الدنمارك من جهة وبروسيا والنمسا من جهة أخرى، خصوصا وان سكان هاتين المنطقتين خاصة الألمان منهم كانوا يرغبون فى الانفصال عن الدنمارك وإعلان الاستقلال عنها، وربط أنفسهم باتحاد جرمانى، وكانت الدنمارك تتوق إلى ضم هاتين الدوقيتين بصفة قاطعة إلى ممتلكاتها ومن أجل ذلك حاولت بتأثير من المدرسة وتأثير الكنيسة أن تنمى استعمال اللغة الدنماركية فيهما، كما كانت بروسيا والنمسا يتوقان أيضا إلى ضمهما دون أى حق شرعى أو تاريخى لهما فيها. وإنما اندفاعا وراء حمية العاطفة القومية وقد أدى ذلك إلى ظهور نذير الحرب ومع أن بسمارك كان يرغب فى ضم هاتين الدوقيتين إلى بلاده، فانه خشى ان يتورط فى مشكلة سياسية قد تلحق الضرر بمستقبله السياسى، ومن هنا رأى ان يشرك النمسا معه، ونتيجة لذلك اشتركت النمسا بقواتها مع بروسيا فى محاربة الدنمارك وتمكنا من هزيمتها. مما اضطر الدنمارك إلى التخلى عن الدوقيتين فى صلح فينا فى اكتوبر ١٨٦٤، فأخذت بروسيا دوقية الشلزويج، وأخذت النمسا دوقية الهولشتين، وذلك طبقا لمعاهدة جاستين Gastein ١٨٦٥م، وقد اعتبر بسمارك هذه المعاهدة مؤقتة، واخذ فى اعداد العدة لاستفزاز النمسا وإجبارها على

الحرب، حيث كان يعتقد أنها العقبة الكبيرة أمام وحدة ألمانيا، ولما قام البروسيون بحفر قناة تصل بين بحر البلطيق وبحر الشمال، اعترضت النمسا على ذلك لاعتقادها ان فيه تقوية لنفوذ بروسيا على حساب مصالحها، وتعقدت الأمور، واتضح لبسمارك ان المشكلة لن تحل الا عن طريق الحرب خاصة وأنه كان يثق فى قوة جيشه، ومع ذلك فانه أراد ان يضم ايطاليا إلى جانبه حتى يشغل القوات النمساوية على جبهتين كما أراد ان يضمن حياد فرنسا خلال حروب بلاده مع النمسا.

وبالنسبة لإيطاليا فقد وجه بسمارك جهوده لعقد محالفة معها، وقد نجح فى أن يحصل منها على تعهد بأن تنضم إلى بلاده فى حالة وقوع حرب بينها وبين النمسا بشرط أن تساعد بروسيا ايطاليا فى الحصول على البندقية.

وبالنسبة لفرنسا فقد قابل بسمارك الامبراطور الفرنسى نابليون الثالث[١] وحصل منه على موافقة بحياد بلاده إذا وقعت الحرب بين بروسيا والنمسا وبذلك تمكن بسمارك فى تطويق النمسا، وبقى أمامه القيام باستثارتها حتى تبدأ بإعلان الحرب على بلاده لذلك بدأ فى إثارة المشاكل معها، وفى نفس الوقت حاول أن يظهر أمام الولايات الألمانية والرأى العام الأوربى بمظهر المدافع عن حرية الشعوب، وإظهار النمسا من جهة ثانية بمظهر الدولة المعادية لحقوق الشعوب والديمقراطية فاقترح على المجلس الاتحادى "الدايت Diete" ان تكون وفود الدول ممثلة لشعوبها لا لحكوماتها، مما أثار النمسا فأعلنت معارضتها لهذا الاقتراح، كما قطعت علاقاتها مع بروسيا فى ١٥ يونيو ١٨٦٦ وبدأت فى الاستعداد للحرب، وهذا ما كان يسعى إليه بسمارك.

وقد بدأت الحرب بين الدولتين فى منتصف يونيو ١٨٦٦ ولم تدم سوى سبعة أسابيع فأرسلت النمسا قوات قوامها مائتان وثلاثون ألف جندى لمواجهة القوات البروسية، وفى ٣ يوليو ١٨٦٦ حدثت معارك حاسمة بين الطرفين ظهرت فيها براعة الجيوش البروسية، وتميزها بالدقة العسكرية، فاستطاعت سحق القوات النمساوية التى واجهتها من الشمال الغربى فى الأسبوع الأول من بداية الحرب كما سحقتها مرة أخرى فى معركة "سادوا Sadowa" فى ٣ يوليو ١٨٦٦ وأصبح الطريق إلى العاصمة النمساوية مفتوحا، ولكن بسمارك لم يرغب فى

---

[١] ابن أخو نابليون بونابرت.

إذلال النمساويين بدخول عاصمتهم وخاصة وأنه كان يريد وقوفهم على الحياد فيما إذا حارب فرنسا ومن هنا قبل الوساطة الفرنسية التى طلبتها النمسا، وتم عقد صلح "براغ" فى ٢٣ أغسطس ١٨٦٦ وفيه تم الاتفاق على ضرورة المحافظة على سلامة الأراضى النمسوية فى نظير ان يتم حل الاتحاد الجرمانى الذى تتزعمه النمسا ويكون لبروسيا الحق فى إنشاء إتحاد شمالى الماين كمايصبح لها الحق فى حكم الدوقيتين شلزويج وهولشتاين،وقد وافق بسمارك على هذه الشروط،لأنه هدفه الرئيسى كان اقامة الوحدة الألمانيةوليس اذلال النمسا أكثرمن ذلك

نعود إلى موقعة سادوا ونتائجها. الواقع ان انتصارات الجيش البروسى فى هذه الموقعة قد قلب التوازن الدولى فى وسط أوربا وأثبتت نجاح خطط بروسيا الحربية، وتفوق مدفعيتها، والمهارة فى سرعة التعبئة ودقة الحركات، مما أزعج الفرنسيين الذين أصبح الخطر يتهددهم خصوصا وانهم شعروا بأن وجود دولة ألمانية موحدة على حدودهم الشمالية يهدد سلامة بلادهم وباتوا يطالبون امبراطورهم نابليون الثالث بإحراز بعض المكاسب للفرنسيين، مما اضطره إلى ان يطالب بروسيا بجزء من الأراضى الألمانية كثمن لحياده، ولكن بسمارك رفض التنازل عن أى شئ وعلى كل حال فما أن انتهى بسمارك من النمسا الا وأخذ يستعد لمواجهة فرنسا، ومع ذلك فقد كان يهمه أن تكون فرنسا هى البادئة بالعدوان، أو تظهر أمام الرأى العام الأوربى أنها المعتدية، حتى يوجد المبررات التى تجعله يخوض الحرب ضدها سريعا حتى لاتستطيع النمسا ان تثار لنفسها بالاشتراك مع فرنسا فى الحرب ضد بلاده.

ونتيجة لفشل سياسة نابليون الثالث فى حل مشاكل بلاده الداخلية بدأ يفتش عن انتصارات عسكرية او سياسية يستطع بها تقوية أركان حكمه وهذا ما جعله يغامر بالدخول فى حروب خارجية حتى يشغل الرأى العام الفرنسى عن الاهتمام بمشاكل فرنسا الداخلية.

ولما اثيرت مسألة وراثة العرش الأسبانى الشاغر بعد فرار ايزابيلا"ملكة أسبانيا من بلادها، نتيجة لقيام الثورة ضدها عام ١٨٦٨م عرض على بساط البحث اختيار الأمير ليوبولد قريب قيصر بروسيا، وكان ذلك مخالفا لرغبة فرنسا لأنه قد يؤدى إلى إحاطتها بالأعداء مما جعل أمبراطورها يعترض على ذلك الترشيح بصورة علنية، ويسعى لدى ملك بروسيا كى يحول دون ذلك.

ولما عرض الأمر على الأمير ليوبولد تردد فى القبول، ولكن بسمارك انتهز هذه الفرصة ونجح فى إقناع الملك والأمير بالقبول، ولما علمت فرنسا بما حدث زاد فوران الغضب لدى الرأى العام الفرنسى وكلفت الحكومة الفرنسية سفيرها فى برلين بمقابلة ملك بروسيا الذى كان يقضى فصل الصيف فى " أمز Ems" ليطلب منه التدخل لوقف الترشيح، وقد تمكن من ذلك، ولكن الحكومة الفرنسية طالبت بالحصول على تعهد كتابى، والا يسمح للأمير " ليوبولد" بقبول هذا المنصب فى المستقبل، ولما حاول السفير الفرنسى مقابلة ملك بروسيا للمرة الثانية رفض الملك وليم إجابة هذا الطلب.

وقد انتهز بسمارك هذه الفرصة وسعى لإحباط اى محادثات تقرب بين الدولتين كما قام بعقد محالفة بين بلاده وأسبانيا، وعندما أرسل الملك البروسى إلى بسمارك برقية بخصوص مقابلته مع السفير الفرنسى، نشرها فى الصحف بأسلوب آثار الشعور الوطنى فى كل من الدولتين فقام بحذف بعض ألفاظها بحيث يبدو لمن يقرأها ان السفير الفرنسى قد أهان الملك، وان الملك رد هذه الأهانة أضعافا، مما آثار الشعب الفرنسى وطالب بالحرب، واضطر الإمبراطور" الفرنسى، إلى استدعاء قوات الاحتياطى. وإعلان الحرب على بروسيا فى ١٩ يوليو ١٨٧٠ وهى ما تعرف بحرب السبعين وكان هذا ما يسعى إليه بسمارك. وبالنسبة لموقف أوربا من هذه الحرب فقد وقفت أوربا تقريبا على الحياد مما جعل فرنسا تقف وحدها أمام بروسيا، ومع أن جيش فرنسا كان منظما فقد كان الجيش البروسى أكثر تنظيما، وبدلا من أن ينقل الجيش ساحة القتال إلى جنوب ألمانيا انقض الجيش البروسى عليه وحطمه تحطيما خلال شهر واحد من قيام الحرب وتقدمت القوات البروسية داخل الأراضى الفرنسية بعد هزائمها للقوات الفرنسية فى مواقع متتالية اضطرتها إلى الانسحاب من اقليمى الألزاس واللورين فى ١٤ أغسطس ١٨٧٠ والارتداد إلى الخلف، ولما تقدمت القوات البروسية نحو باريس اضطر الإمبراطور نابليون الثالث إلى التنازل عن القيادة العليا للجنرال "بازين Bazaine" الذى أظهرت الأحداث انه لم يكن مؤهلا لهذا المنصب حيث كان دائم التردد والتباطؤ مما أفقد الجيش الفرنسى توازنه، وأدى إلى نجاح القائد البروسى " فون ملتكة" فى تطويق الجيش الفرنسى فى " سيدان" وإنزال هزيمة ساحقة به مما أرغم حوالى مائة ألف من القوات الفرنسية على الاستسلام، ووقوع الإمبراطور نابليون الثالث فى الأسر، وإجباره على التسليم فى ٢ سبتمبر ١٨٧٠.

ولقد كان لكارثة سيدان اثر سريع على تطور الموقف فانفجرت الثورة وسقطت الإمبراطورية الثانية وتعالت الأصوات تطالب بإعلان جمهورية مؤقتة كى تتولى الدفاع عن فرنسا وتحاول إخراجها من أزمتها ونتيجة لذلك تألفت حكومة برئاسة " جمبتا" كان جل همها إنهاء حالة الحرب بأسرع ما يكون، على أن لاتفقد فرنسا شيئا من أراضيها. ونظرا لإصرار المانيا على ضرورة تنازل فرنسا عن بعض أراضيها استأنفت الحرب وانتهت بحصار الألمان لباريس وتعرض سكانها للمجاعة، ونتيجة لذلك نقلت القيادة الحربية الفرنسية مقر قيادتها إلى مدينة "تور" حتى تتمكن من إدارة المعارك ضد الغزاة من هناك، وخلال ذلك تمكن الزعيم الفرنسى "جمبتا Gambetta" من جمع جيش بلغ تعداده حوالى مائة وثمانين ألف جندى لمحاربة الغزاة ودارت رحى المعارك حتى أجبرت باريس على الاستسلام فى ٢٨ من يناير ١٨٧١، واضطر الباريسيون إلى فتح باب المفاوضات مع الألمان والتى أصر بسمارك من خلالها على أن يقوم الفرنسيون بانتخاب جمعية وطنية يكون فى مقدورها ان تقبل أو ترفض الصلح مع الألمان مقابل فقدها لبعض أراضيها.

ونظرا لاصرار "جمبتا" على عدم التنازل عن شبر واحد من أراضى بلاده، ورغبة من الفلاحين الفرنسيين فى إحلال السلام فقد عقدت الجمعية الوطنية اجتماعا فى مدينة بوردو قررت فيه الموافقة على الصلح مع الألمان وانتخاب " تيير Thiers" رئيسا للسلطة التنفيذية فى فرنسا ومنحه تفويضا بإجراء مفاوضات الصلح على ان الموقف فى فرنسا سرعان ما اشتعل فجأة، وخرج من يد الجمعية الوطنية حيث قامت ثورة فى فرنسا تزعمتها الطبقة العاملة والمتوسطة وأقامت حكومة جديدة فى باريس، وهى الحكومة التى يطلق عليها البعض "كومون باريس" والتى يعتبرها بعض المؤرخين أول محاولة فى التاريخ الحديث لإقامة حكومة اشتراكية بأسلوب الفهم الماركسى. وقد أعلن كومون باريس الثورة على الجمعية الوطنية وناشد المدن الفرنسية الأخرى ان تحذو حذوه ليس فقط من اجل الدفاع عن استقلال فرنسا ضد الغزو الألمانى ولكن أيضا للكفاح من أجل بناء نظام اشتراكى وابعاد القوى الملكية عن الحكم، وبالفعل تكونت فى فرنسا كومونات متعددة. ولكن الجمعية الوطنية بزعامة "تيير" استطاعت القضاء على هذه الكومونات بسرعة حيث قررت استخدام جيشها المنهزم أمام ألمانيا فى القضاء على هذه الحركة. فدخل الجيش الفرنسى باريس واستعمل كافة أنواع البطش والقتل فى الثوار حتى قضى فى باريس وحدها على ما يقرب من ١٣ الف من الثوار.

وإبان هذه المعارك كان "تيير" يقوم بالمفاوضات مع بسمارك تلك المفاوضات التى انتهت بصلح فرنكفورت فى ١٠ مايو ١٨٧١ والتى بمقتضاها أجبرت فرنسا على التنازل عن الألزاس بما فيها من صناعات وشطر كبير من اللورين بما فيه من خام الحديد إلى ألمانيا وكذلك مدينة " متز" وفرض عليها غرامة حربية قدرها خمسة مليون فرنك تجمع فى خلال ثلاث سنوات ثم تدبير ما يحتاج إليه الجيش الألمانى حتى يتم دفع هذه الغرامة ومعنى ذلك أن نهر الرين اصبح يجرى وسط أراضى ألمانية.

ولثقل وطأة الاحتلال الألمانى الجاثم على صدر أراضى فرنسا الشمالية، قام "تيير" بالتعجيل فى دفع الغرامة عن طريق القروض الداخلية واستطاع أن يدفعها فى ظرف ستة أشهر ويخلص فرنسا من استمرار إذلال ألمانيا لها لدرجة أن أطلق عليه الفرنسيون محرر الوطن.

وقد استغل بسمارك انتصارات بلاده على فرنسا، وبدأ فى التفاوض مع ملوك وأمراء الولايات الألمانية من أجل تحقيق وحدة ألمانيا تحت زعامة بروسيا، وتم اختيار النظام الاتحادى كنظام للدولة الألمانية الجديدة، واختيار الملك " وليم الأول" إمبراطورا لألمانيا.

وفى قصر المرايا بفرساى أعلنت الإمبراطورية الألمانية، وتم من خلالها إقامة دولة ألمانية موحدة فى الشئون الخارجية والعسكرية برئاسة وليم الأول ملك بروسيا الذى حمل لقب قيصر ألمانيا، كما أعلن دستور الإمبراطورية الجديدة، وبذلك دخلت ألمانيا فى عداد الدول العظمى.

وبعد أن حقق بسمارك لألمانيا وحدتها، وأصبحت الإمبراطورية الألمانية الجديدة مركز الثقل فى دائرة توازن القوى السياسية الأوربية وغدت تملك نهر الرين من الحدود السويسرية إلى الحدود الهولندية، بدأ بسمارك يغير سياسته التى كانت تستند على ضرورة دخول بلاده الحروب حتى يتحقق لها الوحدة إلى سياسة الحيلولة دون وقوع حرب فى أوربا خصوصا وانه كان يعتقد أن ألمانيا تحتاج إلى السلم حتى تستطيع الاحتفاظ بالانتصارات التى أحرزتها وقد ساعده على ذلك أن أوربا كانت منشغلة بالمشكلات التى أعقبت الثورة الصناعية وما نتج عنها من آثار سياسية واقتصادية واجتماعية، ونتيجة لذلك استمر السلام فى أوربا لاطول فترة فى تاريخها الحديث، وهى الفترة ما بين ١٨٧٠-١٩١٤.

ولما كانت عملية توحيد ألمانيا قد تمت على حساب انتزاع الألزاس واللورين من فرنسا وضمها للاتحاد الألمانى وهو ماظل الفرنسيون يعتبرونه جريمة مزقت شمل أمة تمزيقا وحشيا وكان بسمارك على قناعة تامة بأن الفرنسيين، وان رضوا مؤقتا بالأمر الواقع فان كبريائهم سيؤدى إلى إحباط كل سعى للسلام، وانهم سيحاولون استرجاع ما أخذته منهم ألمانيا عن طريق إقامة تحالف دولى معاد للإمبراطورية، ومن هنا بذل بسمارك شتى الجهود لعزل فرنسا دبلوماسيا وإفشال مخططها فى تكوين أي تحالف ضد ألمانيا فبدأ الاتصال بامبراطوريتى النمسا والمجر، والروسيا وفى عامى ١٨٧٣،١٨٧٢، تم الالتقاء مع زعماء هذه القوى فى برلين، ودخلت العلاقات بين ألمانيا والإمبراطوريتين الكبيرتين مرحلة الاتفاقات والمواثيق فعقدت اتفاقية سرية بتبادل المساعدات العسكرية بين ألمانيا وروسيا إذا هوجمت إحداهما من جانب دولة ثالثة، كما عقد اتفاق آخر وقعته فى روسيا وألمانيا والنمسا ويتضمن تشاور هذه الدولة فى الوصول إلى تفاهم مشترك حول خطة العمل الحربى فى حالة الاعتداء من جانب دولة أخرى على إحدى دول التحالف.

وقد أطلق على هذا الوفاق والتفاهم اسم " عصبة الأباطرة الثلاثة" ويبدو أن هذه العصبة كانت تحمل معول هدمها فى يدها حيث اصطدمت مصالح روسيا القيصرية فى البلقان مع مصالح النمسا مما أحرج وضع ألمانيا وفرض عليها أن تختار بين إرضاء النمسا أو إرضاء الروسيا، ولما رأى بسمارك أن ارتباط مصالح بلاده بالنمسا اكثر منها مع الروسيا سارع بتوثيق تحالفه مع فينا، وعقد معها اتفاقا فى أكتوبر ١٨٧٩ يقضى بأن تقدم كل من ألمانيا والنمسا المساعدة للأخرى بكل قواها العسكرية إذا هوجمت إحداهما من جانب روسيا القيصرية أما إذا هوجمت إحدى الدولتين من جانب دولة أخرى غير الروسيا، فان الدولة الثانية تقف موقف الحياد المشوب بالتعاطف تجاه حليفتها وقد ظل هذا التحالف يمثل حجر الزاوية فى سياسة ألمانيا الخارجية، كما كان محورا للارتكاز الذى قصد به بسمارك عزل فرنسا عن الدول الأوربية الكبرى.

ولما حاول بسمارك ضم إيطاليا إلى التحالف الثنائى ليصبح تحالفا ثلاثيا لم يجد فى ذلك صعوبة نظرا لأن إيطاليا كانت حريصة على أن تتحالف مع دولة كبرى مثل ألمانيا يمكن أن تساندها فى التخلص من مشكلاتها الداخلية وخاصة مع البابوية التىتعتمد على ولاء العالم الكاثوليكى لها وأيضا فى تحقيق أحلامها التوسعية بعد أن خاب أملها فى الاستيلاء على تونس

حيث سبقتها فرنسا واستولت عليها في عام ١٨٨١ آنذاك رحبت ايطاليا بالانضمام إلى التحالف الثنائي في عام ١٨٨٢، فنشأ التحالف الثلاثي من برلين – فينا – روما ثم اتسع بعد ذلك فشمل رومانيا والصرب.

هذه كانت سلسلة التحالفات التي أوجدها بسمارك بغرض عزل فرنسا واضعاف موقفها، وقد مكنت هذه التحالفات من عزل فرنسا عزلا يكاد يكون تاما.

وعند تحليلنا لمصادر القوة والضعف في هذه التحالفات يتضح ما يلي:-

أولا: نواحي القـــوة:

١- سهولة الاتصال بين القوى المتحالفة حيث أنها تتمركز في منطقة متقاربة.

٢- ضخامة القوة الاقتصادية للدول المتحالفة.

ثانيا: نواحـــي الضعف:

١- أن هذا التحالف ضم دولتين متنازعتين هما النمسا والصرب، مما أدى إلى إثارة المشاكل القائمة بينهما داخل التحالف.

٢- وجود ثغرات واضحة داخل نصوص المعاهدات تمكن بعض دول التحالف مـــن عـــدم الالتزام بالمواثيق عند اللزوم وتفسيرها بالطريقة التي تتلاءم مع مصلحتها.

فعلى سبيل المثال استخدم ضمن النصوص تعبير " العدوان غير المستفز" بمعنى أن أي دولة داخلة في الحلف ليست ملزمة بالدخول في الحرب إلا إذا اعتدى على حليفتها من قبـــل دول أخرى أما إذا استفزت حليفتها دولة أخرى مجاورة لدرجة تدفعها إلى الحرب فان دخول دول الحلف لمساعدتها ليس ملزما ولنضرب أحد الأمثلة لتوضيح ذلك.

إذا اعتدت فرنسا على ألمانيا فان على إيطاليا أن تسارع لمساندة ألمانيا أما إذا عمدت ألمانيا إلى استفزاز فرنسا إلى الدرجة التي تدفع فرنسا لمهاجمة ألمانيا فان إيطاليا ليست ملزمة في هذه الحالة بالدخول في الحرب.

وعلى أي حال قد تمكن بسمارك بهذه التحالفات من عزل فرنسا عـــن بقيـــة الـــدول الأوربية ويبقى أن نتحدث عن جانب آخر من سياسة بسمارك الدولية وهو دخول ألمانيا فـــي

المجال الاستعمارى لقد حاول بسمارك فى بداية الأمر أبعاد بلاده عن المجال الاستعمارى خارج أوربا حتى لا يزعج بريطانيا، ويدفعها إلى التقارب مع فرنسا، ولكن ظروف النمو الصناعى داخل بلاده كانت أقوى من أن يقف بسمارك أمام الرغبة فى تكوين مستعمرات للحصول منها على المواد الخام اللازمة للصناعة وأيضا لتصريف المنتجات التى تقوم المصانع الألمانية بتصنيعها ونتيجة لذلك تأسست الجمعية الألمانية الاستعمارية فى عام ١٨٨٢، كما بدأت فكرة تكوين مستعمرات ألمانية خارج أوربا تسير إلى حيز التنفيذ فأسس الألمان أربع مستعمرات فى جنوب غرب وشرق أفريقية (مثل الكامرون وتوجلاند) كما امتد نفوذهم ناحية الشرق الأقصى فوصلوا إلى غينيا الجديدة (ايريان الغربية) واستطاعوا الحصول على قاعدة بحرية فى جزر مارشال بمنطقة الباسفيك، كل ذلك جعل الدول الأوربية تعترف بالمانيا كدولة استعمارية واكبر دليل على ذلك أن المؤتمر الذى عقدته الدول الأوربية بشأن تسوية نزاعها حول أفريقية عقد فى برلين عام ١٨٨٤، ورأس المؤتمر بسمارك نفسه.

وعلى الرغم من كل ذلك فقد كان بسمارك يعمل على إرضاء بريطانيا والتقرب منها، لدرجة أن علاقات بلاده معها كانت طيبة للغاية، غير أن ذلك لم يستمر طويلا، فعندما توفى الإمبراطور الألمانى "وليم الأول" فىعام ١٨٨٨ بدأت سياسة بسمارك الخارجية فى الانهيار، وبخاصة عندما وصل الامبراطور الشاب "وليم الثانى" إلى الحكم وقيامه بتنحية بسمارك من منصب المستشارية فى عام ١٨٩٠ وتولية " فون كابريفى" Von Caprivi مكانه، وذلك للخلاف بينهما حول الموقف من روسيا القيصرية وزيادة التوسع الاستعمارى.

ونتيجة لعدم ارتياح بريطانيا والروسيا من سياسة الامبراطور الألمانى الجديد، بدأ التقارب البريطانى الفرنسى يأخذ طريقه، مما نتج عنه عقد الاتفاق الودى بينهما فى عام ١٩٠٤، كما مهد الطريق لظهور التحالف الروسى الفرنسى فى عام ١٨٩٤، وأدى أخيرا إلى قيام التحالف الانجليزى الروسى الفرنسى فى عام ١٩٠٧ فيما يعرف الوفاق الثلاثى.

ثم أخذت علاقات إنجلترا مع ألمانيا طريقها إلي التدهور خصوصا بعد أن قام الإمبراطور الألمانى بمساندة البرتغال ضد بريطانيا فى حرب البوير، ومحاولاته المتكررة للحصول على المزيد من المستعمرات والقواعد البحرية، ورغبته فى إنشاء بحرية ألمانية قوية تنافس القوى البحرية البريطانية، وإيجاده للعديد من المشاكل والتى نجم عنها على سبيل المثال الأزمة المراكشية ووقوف بريطانيا بجانب فرنسا خلال هذه الأزمة.

وعند تحليلنا لمجمل الإنجازات التى تحققت فى عهد "وليم الثانى" فى المجال الاستعمارى نجدها ضئيلة فعلى الرغم من أن "وليم الثانى" كان صاحب فكرة نزول ألمانيا بكل ثقلها إلى المجال الاستعمارى فان محصلة المستعمرات التى حصلت عليها ألمانيا فى عهده كان أقل من المستعمرات التى حصلت عليها فى أيام بسمارك، وإلى جانب ذلك فان بلاده فقدت الكثير من المجال الدولى عما كان عليه الحال خلال تواجد بسمارك، كما انها فقدت صداقة إنجلترا وأدى إلى تقاربها مع فرنسا.

وعلى أى حال فقد حاولت ألمانيا ممارسة ظاهرة استعمارية جديدة تمثلت فى الرغبة فى الحصول على الثروات الاقتصادية التى تحتاج إليها دون أن يكون ذلك عن طريق الاستعمار المباشر، وهذا ما يطلق عليه اسم الإمبريالية ولتحقيق ذلك عملت ألمانيا على تنفيذ عدة مشروعات من أهمها:

١- مشروع وسط أوربا Mittle Europa

٢- مشروع الاتجاه نحو الشرق Drang Nach Osten

وقد قصد "وليم الثانى" بالمشروع الأول تكوين اتحاد جمركى فى وسط أوربا لزيادة الروابط الاقتصادية بينها مما يتيح لألمانيا اجتذاب الناطقين بالألمانية الذين يعيشون خارج حدودها، واستغلال هيكلها الاقتصادى الكبير فى الهيمنة على تلك المنطقة.

أما المشرع الثانى وهو الاتجاه نحو الشرق فالهدف منه الوصول إلى ممتلكات الدولة العثمانية فى الشرق عن طريق بناء سكك حديدية، وربط اقتصادها بألمانيا عن طريق المواد الخام بها، وجعل هذه البلاد سوقا لتصريف المنتجات الصناعية الألمانية.

وقد عارضت إنجلترا والروسيا هذه المشروعات معارضة شديدة ثم جاء قيام الحرب العالمية الأولى فأوقفها تماما.[١]

(تستكمل الموضوعات الخاصة بتاريخ أوروبا المعاصر

فى الجزء الثانى من الكتاب)

---

[١] محمد أنيس: تاريخ أوربا المعاصر.